

ED : 205

# علم نفوس الكهول

الأستاذان :

نور الدين الظاهري

محمد المنصف حاجي

هندة بلقاسم 

- 2000 -

# علم نفس الكهول

## الجوانب الذهنية والمعرفية :

يتصور الرأي العام النموّ مدى الحياة في شكل نماء أو ازدياد وتدهور أو نقصان. ولطالما أخذ علماء النفس بهذا الرأى مؤكّدين على أهميّة عمليّة أو سيرورة الضعف والوهن اللذين يسمان الكهولة، ويرجع هؤلاء العلماء السيرورات المذكورة إلى محدّدات بيولوجيّة بالأساس. ولقد تدعّمت الصورة السلبية عن النموّ الذهني والمعرفي في سنّ الكهولة بالنتائج الأولى للأعمال ودراسات القياس النفسي المندرجة ضمن صنف البحوث الأفقيّة<sup>1</sup> التي نذكر منها :

- دراسة ثورندايك المنجزة سنة 1928 التي بيّنت أنّ معدّل التعلّم يبلغ أوجه في سنّ 22 ويأخذ في الانحدار بنسبة 1 % كل سنة إلى حدود الخمسين.

- دراسة فاكسلار Wechsler سنة 1935 وهو الذي وضع اختبار قيس الذكاء الخاص بالكهول واسمه « Bellevue Intelligence Scale<sup>2</sup> ». أكّدت أن الذكاء ينمو إلى بداية مرحلة الكهولة ثمّ يأخذ في النقصان شيئاً فشيئاً.

---

<sup>1</sup> العرضيّة : Transversales

<sup>2</sup> يُقسم سلّم فاكسلار لحاصل الذكاء العام إلى نوعين : حاصل ذكاء لفظي وحاصل ذكاء الأداء، فالأول يتكوّن من الاختبارات التالية : معلومات عامّة، فهم عامّ، حساب، تناظر، ألفاظ، ذاكرة الأرقام. أما الثاني فيشمل الاختبارات من نوع إتمام الصور، تنظيم الصوّر، المكعبات، جمع أشياء، الرمز والمتاهة. ذكر في كتاب بيدو، "الانسان النامي : l'Homme en développement" p. 164

يبين هذا الرسم التمثيلي الذي يجسّم البيانات التي جمعها Wechsler بالولايات المتحدة الأمريكية ونشرت سنة 1955 وكذلك البيانات المجمعّة في فرنسا والمنشورة سنة 1970 أن مجموع النتائج الاجماليّة لسلم WAIS يزداد من نهاية المراهقة إلى ما بين 25 و 34 سنة لينخفض فيما بعد.

والسؤال المنهجي هنا هل تعود هذه الفروق إلى تغييرات بيولوجيّة بتأثير عامل السنّ الزمنيّ أم تعود إلى تأثير جيل الانتساب (Cohorte). فالمجموعات ولدت وترعرعت في فترات معيّنة من التاريخ وبالتالي استفادت من رعاية طبيّة مغايرة، ومن تغذية أفضل جديدة ومن التعليم لمدة أطول...

وفي نفس الإطار أجريت بحوث جديدة وفق المنهجية الطوليّة (longitudinale) التي تقوم على جمع البيانات بصورة متكرّرة لنفس المجموعة، وهي منهجية تساعد على تقييم التغييرات لدى الأفراد

---

<sup>3</sup> مأخوذ عن H. L. Bee, Le développement humain, p : 376

باعتبارها تغيّرات مرتبطة بالعمر مع اعتبار أن العوامل التاريخية والاجتماعية تؤثر بنفس الطريقة في مجموع الأشخاص الذين يمثلون جيل الانتساب المعني بالدراسة.

منذ سنة 1928 بدأت دراستان ببركلاي وهما :

Berkley Growth Study و Berkley Guidance Study ، وشملت هاتان الدراستان أطفالاً لهم 21 شهراً من العمر وآخرين من المواليد الجدد فأجريت عليهم روائز النمو، وروائز الذكاء والروائز الإسقاطية واختبارات أخرى تتصل بالعلاقات الاجتماعية. وفي نفس الوقت أجريت مقابلات مع أوليائهم.

ولمّا كبر هؤلاء المشاركون في البحث وبلغوا سنّ الكهولة أجريت معهم مقابلات معمّقة شملت الزوّاج والأنشطة المهنية وأنشطة الترفيه وغيرها...

هذا البحث الذي يعدّ من أطول البحوث وأقدمها والمتّصلة بالكهولة والشيخوخة مكّن من جمع عديد البيانات والمعطيات. ولكّنه طرح عديد القضايا منها طول الوقت الذي يخصّسه المشاركون للدراسة، فلا يواصل المساهمة فيها إلا الأفراد المتحمّسون والذين يُبدون دافعية عالية للبحث، ومنها ضخامة الميزانية الضرورية لذلك.

وفيما بعد ظهرت بحوث أخرى لا تقتصر على متابعة مجموعة واحدة متابعة طويلة ولكنّها تجمع البيانات حول عدد من المجموعات

المتعاقبة والمختلفة بصفة متسلسلة séquentielle. وتسمّى مثل هذه الخطط البحثية "عرضية - تسلسلية" « transverso - séquentiels » باعتبارها تجمع بين الدراسة العرضية أو الأفقية أي التي تشمل فئات عمرية مختلفة في لحظة واحدة، وبين الدراسة الطولية لعدة مجموعات Cohortes تضاف إليها مجموعات جديدة وهذا الاختيار المنهجي يساعد على التمييز بين التأثيرات التي تعود إلى السنّ والتأثيرات المرتبطة بالمجموعات المنتمية إلى فترة واحدة أو إلى جيل واحد.

من الأمثلة عن البحوث العرضية التسلسلية البحث الذي أنجزه شاي Schaie ومساعدوه بسيتل Seattle حول نموّ القدرات الذهنية في مرحلة الكهولة والشيخوخة ابتداء من سنة 1956 وقد أجري هذا البحث على مجموعات متعاقبة و متعدّدة. وقيست القدرات الذهنية بواسطة رانز القدرات الذهنية ( PMA ) ( test des aptitudes mentales ) الذي وضعه ثارستون Thurstone ( وراجعه ر. ب، كاتل R. B. Cattel و ج هورن J. Horne ما بين سنة 1963 و 1971 ) وهو عبارة عن سلسلة من الاختبارات القصيرة للذكاء تقيس السيولة الفكرية كسرعة الجواب والقدرة على الخزن بالذاكرة والاستدلال اللفظي، من جهة، والقدرات على التأليف الفكري من جهة أخرى والتي تقيّم بواسطة اختبارات الفهم واختبار المفردات.

جمعت هذه البيانات في ست مناسبات ( 1956، 1963، 70، 77، 84، 1991 ) حول أشخاص تتراوح أعمارهم بين 22 و 91

سنة، وبلغ عددهم أكثر من 4000 شخص يتعاطون منها مختلفة.  
وتبيّن النتائج المجمعّة والمحلّلة طويلاً ما يلي :

- انخفاض ملحوظ للسيولة اللفظيّة ابتداءً من سنّ 53 سنة،

- لا تنقص بقية القدرات قبل سنّ 60 سنة،

- تأخذ كل القدرات في الانحدار ابتداءً من 67 سنة، لكنّه انحدار

محدود إلى سنّ 80، مع الملاحظة أنّ الانحدار لا يتمّ لدى أغلب

الأشخاص بصورة خطية وإنّما بصفة متدرّجة وعبر محطات معيّنة.

وعموماً تشير النتائج الواردة في ما نشر سنة 1974 أنّ

التغيّرات المتّصلة بالسنّ تستمدّ خصوصيتها من نوعيّة القدرات

الدّهنيّة المعنيّة بالدراسة ومن مجموعة الانتساب (Cohorte) ومن

طريقة جمع المعطيات. فالنقاط ترتفع حسب سنين الولادة بالنسبة

إلى دلالة الألفاظ، والاتجاه في المكان والتفكير الاستقرائي، أما

بالنسبة إلى القدرات العددية فإنّها لا تتغيّر إلا قليلاً. وفيما يتّصل

بالسيولة اللفظيّة تتخفّض النتائج انخفاضاً محسوساً.

وهكذا يُلاحظ أنّ الدلالة اللفظيّة والاتجاه في المكان والتفكير

الاستدلالي بالنسبة إلى الأشخاص الذين تبلغ أعمارهم 53 سنة أي

يكونون قد ولدوا سنة 1889 أو 1896 لهم اقتدارات ونتائج دون

مثيلاتها لدى من ولدوا سنة 1924 أو 1931.

تتفق هذه النتائج مع الخلاصات التي توصل إليها W. Owens

في دراسة نشرت سنة 1963.

إذ قام هذا الباحث سنة 1950 بتطبيق رانز على عيّنة من الأشخاص تبلغ أعمارهم 50 سنة وهو رانز كانوا قد خضعوا له لما كانوا في سنّ 18 سنة عند دخولهم إلى المعهد.

وبعد 11 سنة أي عندما بلغوا سن 61 سنة أعيد تطبيق نفس الرانز عليهم. فاستخلص الباحث أن نتائج الرانز أفضل في سنّ الخمسين منها في سنّ 18 سنة وأنها تبقى ثابتة في سن 61 في المستوى العام الذي بلغته في الخمسين لكنّها تعرف انخفاضا في نتائج الرياضيات.

وفي نفس الفترة التي كانت تجرى فيها تلك البحوث ظهرت اعتبارات ذهنيّة معرفيّة جديدة قائمة على اختبارات مستوحاة من نظريّة العمليات الذهنيّة لجون بياجي (Théorie opératoire).

نحن نعرف أن أكتمال النموّ المعرفي لدى "الكهل أو الرّاشد المتوسّط" كما يسمّيه بياجي يتحقّق في سنّ 15 سنة مع فروق متفاوتة الأهميّة حسب الأفراد والمجتمعات.

وبياجي - رغم أنه يقرّ بأن الكهول قادرون على تطوير قدراتهم في استعمال التفكير المنطقي بعد بلوغ مرحلة الذكاء المجردّ أو الشكلي فإنّه لا يرى ظهور نمط جديد من النموّ أثناء مرحلة الكهولة. يتولّد عن هذا سؤالان :

- هل توجد تغييرات خاصة بمرحلة الكهولة وتتعلّق بالاشتغال

الدّهني وهي تغييرات قد تكون وليدة تطوّر البنى المعرفيّة ؟

- هل أن النموّ الذهني ينتهي فعلا مع بلوغ الفرد مرحلة التفكير  
المجرّد أو الشكلي أم أنّه توجد مراحل أخرى للنموّ الذهني والمعرفي  
في سن الكهولة ؟

في دراسة أجريت بالولايات المتحدة الأمريكية قامت ديان  
باباليا Diane Papalia بإخضاع مئة من الأفراد تتراوح أعمارهم ما بين  
6 و 74 سنة (أي من الأطفال والمراهقين والكبار والمسنين )  
لاختبارات بياجي تتعلق بالاحتفاظ بالعدد والمادة والوزن والحجم.  
فأتضح من النتائج أن الاحتفاظ بالعدد هو الاختبار الأكثر سهولة بما  
أن المفحوصين فيه نجحوا منذ سن السابعة. بينما لم ينجح في اختبار  
الاحتفاظ بالحجم وهو مرتبط بمرحلة التفكير الشكلي إلا الشبان  
ما بين 18 و 19 سنة، والكبار من 55 سنة إلى 64 سنة.

وكان النجاح دون ذلك بالنسبة إلى المتقدمين في السنّ (أكثر من  
65 سنة).

أمّا الدّراسات المنجزة بفرنسا ( J. I.Laroche, A. Schirk 1978, Higèle, )  
1970) حول الكهول الذين لم يبلغوا مستويات مدرسيّة عليا  
وانخرطوا في برنامج لتكوين الكبار، فقد بيّنت أن كثيرا منهم لم  
يصلوا إلى مرحلة العمليات المجرّدة أو الشكليّة.

كما أكّدت الملاحظة لوضعيّات تكوين الكبار أنّ صعوبات  
كبيرة تعترض بعضهم أثناء تعاملهم مع المعرفة وخاصة عندما

تتطلب استخدام الرّموز والعمليّات المجرّدة. فكيف تفسر هذه الصعوبات ؟

يمكن أن نجد جوابا عن هذا التساؤل في نص لجان بياجي بعنوان « Intellectuel evolution from adolescence to adulthood »، نشره في مجلة Revue Human Developpement عدد 5 ، ص 6)، تعرض في هذا المقال إلى خصائص الذكاء في المرحلة الفاصلة بين المراهقة والكهولة إذ يرى بياجي أن الذكاء الشكلي الذي بلغه الفرد في منتصف المراهقة "يمثل منظومة معقدة ولكنها متناسقة تختلف نسبياً عن منطق الطفل وتمثل جوهر منطق الكبار المتعلّمين وكذلك القاعدة التي تتأسس عليها الأشكال الأولى للتفكير العلمي" ويُرجم بياجي هذه الاختلافات إلى طبيعة المثيرات الناتجة عن الوسط الاجتماعي والمهني أو عن تباين الاستعدادات حسب السنّ وكذلك عن نوعيّة الاختصاصات المهنيّة.

ولكن السّؤال يبقى مطروحا : فهل يعني ذلك أنّ الكهل يعرف تراجعاً أو نكوصاً إلى مرحلة العمليات المحسوسة أو إلى مرحلة وسطى تقف عند التمكن من عدد محدود من العمليّات الشكليّة مثلما يُسلّم بذلك بعضهم ( A. Schirks و I.laroche - j ، 1970 ) ؟.

غير أنّ هذه الفرضيّة التفسيرية لا تستقيم دائماً إذ لوحظ أن بعض الكهول يلجأون إلى استخدام العمليّات الشكليّة في مجال معيّن ولا يستخدمونها في مجال آخر يتطلّب نفس العمليّات فكأنهم ينتقون

ما يرونه صالحا من عمليات وفق ما تستوجبه الوضعية أو ما يرون أنها تستوجبه.

ويقدم F. Langeot فرضية تفسيرية اعتمادا على ثنائية السيرورات (الإنجاز والتجريد التي اقترحها M. Reuchlin فيقول : "يستعمل الكهل منطقا ذا مستويات مختلفة حسب تغير المضامين والدلالة الامبيرقية للوضعيات"<sup>4</sup> وهذا بالنسبة إلى أفراد في نفس مرحلة النمو.

وتوجد فرضية ثانية قدمها P. Vermesch وتتصل "بسجلات الاشتغال" : دُعيت مجموعة من الطلبة لتعديل كشاف الذبذبات الكاثودي (Oscilloscope cathodique) فأستخدمت عمليات حركية (تتابع أفعال فقط منسقة حسب نتائجها) وكان بإمكانهم استخدام عمليات مجردة (استباق أو توقع شامل للإجراءات المناسبة التي يمكن اتباعها) لو طلب منهم ذلك ووجهت إليهم تعليمة صريحة في ذلك.

والخلاصة من هذه التجربة أن الكهل يشتغل في وضعية معينة وفق أحد السجلين إما ضمن سجل العمليات الحركية أو سجل العمليات المجردة والشكلية مع النزعة التلقائية إلى التوقع ضمن السجل الصوري registre figural وهو ما يناسب المرحلة ما قبل الاجرائية ولكنه يبقى قابلا للانتقال إلى السجل المناسب إذا تطلبت منه الشروط ذلك.

هذا، ويؤكد بعض علماء نفس التربية أن فكرة بياجى القائلة إن "المراهقين يبلغون التفكير المجرد أو الشكلي بصرف النظر عن التعلّم المدرسي أصبحت موضع شكّ ومراجعة".<sup>4</sup> ويبين هؤلاء النفسانيون - خلافا لما يراه بياجى - أن المراهقين غير المدرسيين أو الذين زاولوا الدراسة في المستويات الدنيا فقط ينجحون عموما في الاختبارات الخاصة بمستوى العمليات المحسوسة، ويخفقون دائما في الاختبارات الشكلية. يتضح إذن أن التجربة المدرسية محدّدة لبلوغ التفكير المجرد<sup>5</sup>.

وأما فيما يتعلق بالتساؤل حول إمكانية وجود مراحل جديدة للنمو الذهني تواصل مرحلة التفكير الشكلي كما حدّد ها بياجى نعر في الأدبيات النفسية على موقفين يقولان بذلك، وكل موقف يُعرّف هذه المرحلة اللاحقة تعريفا خاصا.

- مرحلة "اكتشاف المشكلات" وقد أقرحتها Patricia Kennedy

Arlin (1977، 1975) كمرحلة خامسة تتميز في "القدرة على اكتشاف مشكلات جديدة باعتبارها امتدادا طبيعيا للتفكير المغاير، ويفيد التفكير المغاير القدرة على تناول الأفكار بطريقة جديدة وعلى إيجاد وظائف جديدة لأشياء قديمة وعلى تصوّر معاني جديدة

---

<sup>4</sup> F. Langeot, Pensée naturelle, proportionnalité et efficacité en mathématique, in Bulletin de psychologie, 1979 - 80, in 345., p 716)

<sup>5</sup> Claes M., la psychologie de l'adolescence, in profession enseignante : manuel de psychologie pour l'enseignant, D. Groenac'h ...

للمفردات والجمل، فمفهوم الاكتشاف يتضمن القدرة على وضع مشكلات جديدة لا على إيجاد حلول جديدة"<sup>6</sup>.

- **مرحلة العمليات الجدلية** : وهي مرحلة خامسة اقترحها Klans

. Riegel (1973)

يفترض Riegel أن "التفكير الشكلي كما حدده بياجى لا يمثل الشكل الأكثر اكتمالا للتفكير الانساني، ويرى أن نمط التفكير الأكثر تقدما هو الذي يمكن من قبول الأمور الصحيحة والخاطئة في نفس الوقت"<sup>7</sup>. ويصل الفرد في هذه المرحلة إلى تقبل التناقض.

تجد التصورات المتفائلة حول نمو القدرات الذهنية لدى الكهل مرتكزاتها في مصدرين اثنين أحدهما يقول بالليونة العصبية للكهل والثاني يستند إلى الدراسات الخاصة بأشتغال الذاكرة.

ففيما يتعلق بالليونة العصبية (plasticité neuronale) للكهل نعرف منذ نهاية الأربعينات وحسب نظرية عالم الأعصاب الأمريكي دونالد هاب Donald Hebb "أن الخلايا التي تفرغ شحناتها مع بعضها ترتبط فيما بينها" بعبارة أخرى، تبدو الخلايا العصبية التي تشتغل بنفس النسق تزداد قدرتها على تنشيط بعضها البعض، أي أن المناطق التي تتدخل في إنجاز مهمة مشتركة تكون صلات بينها إذا تزامنت أنشطتها الكهربائية، فتظهر شبكة جديدة ظرفيا ثم تستمر".

Le développement humain . p 388

Le développement humain op. cit . p 388

(<sup>6</sup>)

(<sup>7</sup>)

ولئن ناقش هذه النظرية كل من G. I. Changeux و Giordan فإنّ بعض عناصرها تبقى صحيحة ومنها "أن نسج الروابط والخيوط داخل الدماغ يتغيّر باستمرار".

فقد أكدت البحوث الأخيرة ليونة الدماغ في مختلف مستوياته، وحتى الدماغ القاعدي الذي تبدو بنيته قارّة فهو لا يخرج عن المبدأ المذكور. فلما يتعطل مسار معلومة حسية معينة نتيجة تلف ما فإنّ الجهات المعنية لا تبقى ساكنة و خلافا لما كان يعتقد خلال السنين العشرة الماضية فإنّ إعادة تنظيم سيظهر وتغيير "سيشمل الارتباطات العصبية ممّا يمكن الدماغ من التكيف مع هذه الحوادث"<sup>8</sup>.

وأما فيما يتصل بالفكرة الرائجة حول ضعف الذاكرة وتدهور اشتغالها في سنّ الكهولة كنسيان الأحداث القريبة أو الأعمال الضرورية في الحياة اليومية...، فيجدر بنا التذكير بفكرتين أساسيتين :

**أوّلا :** أن الذاكرة تشتغل وفق نمطين اثنين :

- نمط الذاكرة قصيرة المدى وتتميّز بقدرة محدودة على الخزن وبزمن قصير للتخزين، مما يوئد نسيانا هامّا وعلى المدى القصير،

- نمط الذاكرة طويلة المدى، وليست لها طاقة محدّدة لكن ذلك لا يعني أنها لانهائية، ويبدو النسيان في هذا المستوى متدرّجا وفي

---

Giordan, A Apprendre ! Belin, Détats 1998 , p 54.

(<sup>8</sup>)

بعض الحالات، فالإنسان قادر على الاحتفاظ بالمعلومة لمدة عشرات السنين.

**ثانياً :** تتميز الذاكرة بثلاث آليات أو ميكانسمات نفسية :

- يشمل الأول عمليات التذكر الأساسية التي تُسهم في ترميز المعلومات وتحدّد الشكل الذي تتخذه هذه المعلومات عند تخزينها،  
- يتعلّق الميكانيسم الثاني بتنظيم المعلومات تنظيمًا يساعد على الاحتفاظ بها أطول مدّة ممكنة.

- يتكوّن الثالث من العمليات التي تتدخل في استرجاع المعلومات بهدف استخدامها في وضعيّة جديدة.

انطلاقاً من هذه الملاحظات يفترض عدد من المؤلفين أن "تقدّم السنّ يصحبه بعض الوهن في قدرة الذاكرة الحسية والذاكرة قصيرة المدى المرتبطة وثيق الارتباط بتعطّب المستقبلات الحسية وسوء ترميز المعلومة"<sup>9</sup>.

ويفسّر هذا العطب بهشاشة الذاكرة قصيرة المدى وبقدرتها المحدودة على خزن المعلومات الضرورية لإنجاز عمل ما.  
لكن هذا التأكيد يحتاج إلى تدقيق وبيان نسبيته، ذلك أن الانخفاض العام للذاكرة وإن وجد فإنّ حدّته تختلف باختلاف المهمة المطلوبة من الذاكرة.

يقول Lieury : "يعتبر D. Schoenfeld (1966) أوّل من أشاروا إلى أن انخفاض أداء الذاكرة لدى الأشخاص المسنين يظهر خاصّة

<sup>9</sup> Undurraga (C.), « un cadre pour appréhender l'apprentissage adulte en formation » in l'adulte en formation : regards pluriels ... p 79

عند التذكّر والاسترجاع ويقل أو ينعدم عند وجود مؤشرات تساعد على هذا الاسترجاع وخاصة عند التعرّف [ على المعلومات ]". وهذا يعني أن نقصان التذكّر نتيجة تقدّم السنّ يعود أساساً إلى صعوبة الاسترجاع بما أن سيرورات الترميز تبقى سليمة والدليل على ذلك أن التعرّف يُمكن من إيجاد الكلمات.

لقد قام Isingrini ورفاقه سنة 1990 بدراسة قارنوا فيها 3 مجموعات من فئات عمريّة مختلفة وخضعت لوضعيات تجريبية مختلفة وقدمت لهم في كل وضعيّة قائمة من المفردات في شكل معيّن :

- قائمة من المفردات القابلة للتصنيف ولكنها مختلطة والمفحوص حرّ في طريقة التذكّر.

- قائمة من المفردات المصنّفة والمبوبة ممّا يساعد على تنظيمها أثناء عمليّة الحفظ لكن للمفحوص حريّة التذكّر.

- قائمة من المفردات المصنّفة مع اعتماد هذه المرّة التذكّر المؤشّر مثال :

( عسل ← نحل )

(<sup>10</sup>)

---

<sup>10</sup> مأخوذ عن : R. Ghiglione ... , Cours de psychologie, tome 6, p : 203

يستنتج من هذه الدراسة أن نتائج الأفراد ما بين 60 و 75 سنة ضعيفة في الوضعية التجريبية الأولى والثانية وحتى عندما تجمع المفردات في أصناف واضحة، ولكنها تتحسن بصفة ملحوظة لما يقوم التذكر على مؤشرات فكأن هذه المؤشرات تعوّض كلياً النقص المسجل في عملية الاسترجاع.

أجريت بحوث أخرى قامت على المقارنة بين كهول شبان (من 25 - 35 أو 40 سنة ) وكهول متوسطين (من 40 إلى 65 أو 70 سنة ) وكهول مسنين ( ابتداء من 70 سنة ) فتوصلت إلى الخلاصتين التاليتين :

- يتحصّل الكهول الشبان على نتائج أعلى وبصفة ثابتة مقارنة مع الكهول الآخرين في أعمال التذكر للمفردات والأعداد التي حفظوها سابقاً".

- تبدو الفروق بين الأصناف أقل وضوحاً عندما يتعلق التذكر بمادة نصّ دال لا بالكلمات".

لقد استتدت هاتان الخلاصتان إلى 3 تجارب :

- قام بالتجربة الأولى E. W. Simon وأصحابه بعنوان :  
"أهداف المهمة أو النشاط والاقترار على الحفظ" (1982). أفضت  
هذه التجربة إلى أن "التذكّر على المدى القصير لحكاية حُفظت  
بصورة قصديّة لا يتغيّر بتغيّر السن، تبدو نتائج التذكّر في نفس  
المستوى لدى المجموعات الثلاثة"<sup>11</sup>.

- التجربة الثانية تعود إلى سنة 1984 وقامت على "بنيّة المهمة  
وخصائص الأفراد" قام بها R-A. Dixon وآخرون، أظهرت هذه  
التجربة أن الفروق بين الكهول تتجلى في مستوى معرفة النص  
وتنظيمه الهيكلي وخاصة لدى من لهم رصيد ضعيف من المفردات.  
ويعود ذلك إلى "ترميز غير موفق للمعلومات" مثلما هو الشأن  
بالنسبة للكهول في وضعيات القوائم دون دلالة".

- وأخيرا تجربة ثالثة لـ D. F. Hultsh, R. A. Dixon موضوعها  
"المعارف السابقة والحفظ أو الترسّخ بالذاكرة" (1983)، تبين أن  
للمعارف المخزّنة في  
الذاكرة طويلة المدى أثرها أيضا في الذاكرة قصيرة المدى، فهي  
تقدّم معالم وعلامات وتيسّر عمليّة الترميز ومن ذلك تذكّر أفضل  
للمعلومات.

- بعض السيّورورات والعمليات الدّهنية لا تضعف أو تتدهور  
بالضرورة بتقدّم السنّ، وأحسن مثال على ذلك القدرة على خزن  
المعلومات.

l'Homme en développement p 531.

(11)

- إن الاختلافات والفروق التي تحسب على تباين السن ليست بالضرورة وليدة التغيرات، إذ قد تعود، إضافة إلى السن، إلى المستوى الاجتماعي وإلى مستوى التعلم السابق وإلى نقص التدريب ...

- إن استعادة بعض القدرات ممكنة وحتى إلى سن متقدمة بل إن قدرات جديدة قد تبرز وتتدعم بعد التدريبات المناسبة.

جاءت البحوث المختلفة لتصحح الأفكار السائدة والمنمطة حول العلاقة الطردية بين التطور في السن ابتداء من فترة معينة وتوقف النمو أو ضعف القدرات الذهنية وتدهور السيرورات المعرفية وأن السن متغير خام لا يشتغل في حياة الانسان ويؤثر فيها بصورة منعزلة بل تشترك معه عدة متغيرات كالمعارف السابقة ومدى استخدامها وتوظيفها في مجالات الاهتمام ومستوى التدريب أو بلغة الرياضيين "مستوى الحفاظ على اللياقة البدنية" والتيقظ الذهني والمستوى الاقتصادي والاجتماعي بأعتبره يحدّد منزلة المعارف ومكانة القيم الرمزية والذهنية، وأخيرا الدلالة التي يضيفها الكهل على النشاط الذهني والمعرفي.

تتظافر المنطلقات الفكرية النظرية والمعطيات الميدانية لتوجد رؤية جديدة للكهل تتجاوز الاتجاه القائم على ثنائية الاكتمال والنقصان وتعوضه باتجاه معاكس يقوم على "عدم الاكتمال" وبالتالي النمو مدى الحياة.

ويبدو أن هذه الرؤية الجديدة تدعم القاعدة النظرية لاتجاه جديد سيعرف بأسم "قابلية التربية الذهنية والمعرفية" " l'éducabilité cognitive ". ويعرف A. Moal<sup>12</sup> القابلية للتربية الذهنية بأنها "دراسة خصائص النظام المعرفي التكييفية وقدرته على التطور تحت تأثير عمل تربوي مناسب".

### الخصائص الوجدانية للكهل :

الكهولة مرحلة تتكون من عدة مراحل فرعية أو فترات ( phases ) من 20 - 80 سنة. تضبط الحدود بينها بيولوجيا واجتماعيا. ويفترض أن يكون لكل ترة خصائص تميزها. تقوم هذه النظريات على مبدأ أساسي وهو أن النم□ و لا يقف بآنتهاء قوم هذه النظريات على مبدأ أساسي وهو أن النم□ و لا يقف بآنتهاء المراهقة وإما يتواصل طوال مراحل العمر فيتخذ أشكالا ومظاهر مختلفة.

### نظرية المراحل لأريكسون

انطلاقا من نظرية فرويد في النمو النفسي الجنسي طور أريكسون نظرية جديدة تؤكد على الجوانب الاجتماعية لهذا النمو. وهي نظرية تستدمج العوامل البيولوجية وتأثير الممارسات التربوية والسياق الاجتماعي والثقافي.

---

<sup>12</sup> ذكره E. loaren في Introduction : l'éducabilité, coguitivé : repères historiques et en jeux actuels. Revue l'orientation Scolaire et professionnelle, n° Spécial l'éducabilité cognitive, mars, 1992, vol 21, n° 1 , p4

يرى هذا النفساني أنّ الانسان قد يمر بسلسلة من الأزمات النفسية - الاجتماعية يبلغ عددها ثمانية<sup>13</sup> وتطبع كلّ واحدة منها مرحلة من مراحل العمر. وتعتبر هذه الازمات ضرورية للنمو والنضج، إذا بالخروج منها وتجاوزها إيجابا أو سلبا يتهيأ الفرد لتطوير شخصيته وتفتحها.

ولئن اقترح أريكسون نظريته سنة 1950 فإنّ باك Peck ( 1968) أكد على الأزمتين الأخيرتين أي السابعة والثامنة وهما تتعلقان بسن النضج والشيخوخة وبين بياننا مفصلا المهام والأنشطة الخاصة بهما<sup>14</sup>.

يعيش الفرد الأزمة السابعة حوالي الأربعين التي تتميز بنمو الاهتمام بالجيل الجديد ( la générativité ) وتربيته، كما تتسم بالعطاء والانتاجية والإبداعية في مختلف الميادين. وعادة ما يتحقق هذا الاهتمام في إطار الحياة الزوجية عن طريق الإحاطة بالمرافقين. فإذا صادف أن تعثر تطوّر العلاقة الزوجية ولم تتخذ الاتجاه المذكور فقد ينجرّ عن ذلك نوع من الرّكود وقد تعرف العلاقة بين الأفراد فتورا وافتقارا.

---

<sup>13</sup> ( مرحلة الثقة (من الولادة إلى سنتين)  
مرحلة الاستقلال ( من 3 - 4 سنوات )  
مرحلة المبادرة ( من 6 - 7 سنوات )  
مرحلة الانتاج ( من 6 - 12 سنة )  
مرحلة الهوية ( من 13 - 19 سنة )  
مرحلة الصداقة ( من 20 - 30 سنة )

<sup>14</sup> ( Godefroid (jo) , Les fondements de la psychologi, Québec, 1993, p 597 )

وفي حالة الفشل خلال هذه المرحلة يتخذ الفرد موقفا سلبيا ويميل إلى اللامبالاة والتوقف عن العطاء، وربما يمتنع عن الزواج والإنجاب ومشاركة الآخرين حياتهم وبالتالي عدم تحمل مسؤولية الرعاية والإعالة.

وقد فصل Peck هذه المرحلة إلى أربع إزمات فرعية يتحتم حلها وتجاوزها لينمو الاهتمام الحقيقي والمتأصل في الذات بالآخرين وخاصة الناشئين منهم، وهي :

أولا : تنمية تقدير الحكمة والرّصانة عوض مواصلة التأكيد على الاقتدارات الجسميّة،

ثانيا : أن يحلّ الطابع الاجتماعي للعلاقات بين الأفراد محل الطابع الجنسي،

ثالثا : أن يتجنّب التفجير الوجداني المنجرّ عن موت أحد الأقرباء أو ابتعاد أحد الأبناء وذلك بالحفاظ على المرونة الانفعاليّة التي تساعد على التوظيف الوجداني في مجالات أخرى.

رابعا : من الضروري أن يحافظ الفرد على أقصى ما يمكن من المرونة الذهنيّة حتى يجد الأجوبة الجديدة لما قد يعترضه من مشاكل عوض الثبات فيما اكتسبه من عادات ويستمرّ في نوع من التصلب الذهني الذي يولد السكون والتحرّج.

أما الأزمة الثامنة فهي توافق مرحلة الشيخوخة من 65 فما بعد، وتعتبر مآلا للمراحل السابقة بحيث ستتأثر بالطريقة أو الطرق التي مرّت بها. يقيم الفرد خلال هذه المرحلة حياته الماضية، فإذا كانت

الخصيلة "إيجابية" وتقبل الإنسان حياته ككل متكامل لا يستطيع تغيير أي عنصر منه فإنه سيحقق التكامل الشخصي ويستقبل حياته كوحدة إدماجية، وفي الوضعية العكسية أي إذا لم يتوصل الفرد إلى استدماج مكونات الحياة السابقة في تصور متكامل فإنه سينتهي حياته في خوف من الموت يائسا من القدرة على بداية حياة جديدة.

وكما هو الشأن بالنسبة للإزمة السابعة حرص Peck على تقسيم الإزمة الثامنة إلى 3 إزمات فرعية يتحتم تجاوزها ليحقق الانسان ذاته وينمي شعوره بتكامل الشخصية ووحدتها، وهي :

أولا : إعادة تحديد الأنا خارج الدور المهني لأن هذا الدور هو المرجع الأساسي بالنسبة إلى كثير من الناس وحتى إلى سن التقاعد.

ثانيا : إزمة فرعية مرتبطة بتقبل تدهور الصحة وضعف الجسم وهو تقبل يساعد على المباشرة الضرورية.

ثالثا : تجعل هذه الإزمة الفرعية الشخص يكف عن الاهتمام بأناه فيقبل بواسطة هذه المباشرة فكرة الموت دون قلق.

بين أريكسون دون الأزمة في تجاوز حالة اللاتوازن في مختلف مراحل العمر بما في ذلك الكهولة، وأضاف Peck تفريعا جديدا للأزمات الأخيرة كما اقترح أفكارا وسبلا تساعد الكهل والشيخ على المرور بسلام من الأزمات المذكورة.

وقد أكد Farrel et Rosenberg ( 1981 ) ظاهرة الاندماج في شيء من الاختلاف وبيننا أن الانسان في الأربعين له شخصية مندمجة integrée أكثر ممّن هو في سن العشرين، كما أشارا إلى أن

التغيّر يبدو أكثر وضوحاً لدى أفراد الطبقة الوسطى منه لدى طبقة العمال.

إذا أخذ النمو في مرحلة الكهولة الوسطى اندماجاً أكبر فإنّ المرحلة لمتقدّمة في السنّ أو بداية الشيخوخة تعرف تطوّراً أو تغيّراً باتجاه فكّ الالتزام le désengagement والتحرّر منه.

ويفيد هذا التحرّر من الالتزامات التخلّي التدريجي عن قضايا ومسائل العالم الخارجي وتقلص النشاط الاجتماعي والانشغال أكثر فأكثر بالعالم الداخلي أي بالأحاسيس والأفكار والتساؤلات الوجوديّة. لكنّ الدّراسات اختلفت في تقييم أثر هذا التخلّص من الالتزامات وضعف العلاقات الاجتماعيّة في هذه المرحلة يدل بعضها على أن الكهول الذين قاموا بعملية التخلّص يعيشون سنوات حياتهم الأخيرة في هدوء وسكينة، في حين تشير دراسات أخرى إلى أن الكهول المسنّين الذين واصلوا أنشطتهم الاجتماعيّة وبقوا في شبكات علائقيّة واحتفظوا بصداقاتهم كانت لهم صحّة جسميّة أفضل ومستوى انفعالي أكثر توازناً.

يمكن أن يُدرس التغيّر والتحوّلات التي يعيشها الكهل حسب

نموذج المراحل Modèle des Stades .

إنّ الفكرة الأساسيّة التي تستند إليها نظريّات المراحل هي

وجود عدد من المهام النشوئيّة Tâches développementales )

( Havigurst 1972 ) أي أن الفرد في حياته يؤدّي جملة من الأعمال

والمهام التي تدل على مرحلة النموّ التي يمر بها وهذه الأعمال

والمهام التي هي عبارة عن أدوار جديدة تستوجب تغييرات داخلية وإعادة تنظيم وترتيب مكونات الشخصية كالكهولة والعلاقة الزوجية والانجابية .

## نظرية نموّ الأنا لـ Jane Loevinger

قامت Jane Loevinger في السنينات بوضع نظرية حول نموّ الأنا، وحددت لها 6 مراحل متتالية انطلاقاً من مختلف أوجه الأنا والتغييرات النوعية التي تشملها<sup>15</sup>، ثلاث مراحل منها تهتمّ الكهل :

- **مرحلة بينية** وتسمى مرحلة الوعي والامتثال ويبدو أن هذه لمرحلة الأكثر شيوعاً لدى الكهول في المجتمع. فعناصر المرحلة السابقة (مرحلة الامتثال) موجود في مرحلة الوعي ويضاف إليها عنان أساسيان : زيادة الوعي بالذات أي الفرد يعي ذاته ومكونات الذات أكثر من ذي قبل، وإدراك مختلف الأوجه التي توفرها الوضعيات الملاحظة.

يمكن الوعي بالذات من إدراك الهوية بين الصورة المثالية للذات والتي تحددها المعايير الاجتماعية والذات الداخلية مع ما تشتمل عليه من حدود، فينمو بذلك الحسّ النقدي ونوع من الحيرة تجاه الأمور الاجتماعية.

- **مرحلة الوعي** : أهمّ العناصر التي تكون وعي الكهل موجودة في هذه المرحلة، يشتمل ذلك على الأهداف البعيدة المدى، على تقييم ذاتي للنماذج السائدة، على النقد الذاتي وعلى حس

---

<sup>15</sup> ( المراحل الثلاث الأولى :

أ) ماقبل الاجتماعية Stade présocial وهي مرحلة لا يميّز فيها الرضيع بين الأنا والعالم الخارجي،

ب) مرحلة الاندفاعية Stade impulsif وتتميز بتأكيد الطفل هويته أو بما يعبر عنه بأزمة الرقص،

ج) مرحلة الحماية الذاتية Stade autoprotecteur وتعرف ببداية التحكم في النزعة الاندفاعية واستباق أو توقع المكافأة والعقاب.

بالمسؤولية فالقوانين قد استبطنت بعد أن قيّمها الكهل تقييما ذاتيا واختارها ولم تعد مطلقة.

يرى الكهل نفسه محددا لمساره ومصيره، مسؤولا عن غيره أحيانا بصورة مبالغ فيها، يتوق إلى تحقيق ذاته حسب معايير الشخصية لا حسب الاعتراف الاجتماعي، ويصل إلى التعقد المفهومي، حياته الداخليّة ثريّة وهو قادر على تحديد الانفعالات الجزئية أو الدقيقة.

يصف نفسه بطريقة أكثر واقعيّة من المراحل السابقة ويتفهم رأي الآخر ممّا يساعده على تعميق العلاقات بين الأفراد.

### مرحلة الاستقلال *Stade autonome*

من خصائص هذه المرحلة أن الكهل يتعرّف على الصّراع الداخلي ويواجهه فهو يواجه الحاجات والواجبات المتناقضة التي تولّد صراعا، وهو قادر على تجاوز الثنائيات والتفكير الاستقطابي للمتناقضات وبناء واقع جديد يستدمج العناصر المختلفة فتكون أو جه متعدّدة.

وللفرد في هذه المرحلة درجة عالية من التسامح تجاه الغموض ويصل إلى التعقد المفهومي الذي لا يدركه إلا من وصل إلى هذه المرحلة.

إن الكائن المستقل قادر على الاعتراف بحاجة الآخر إلى الوقوع في الأخطاء، كما يعترف بحدود الاستقلال وبضرورة

التفاعل الوجداني. وهو يعبر عن أحاسيسه بصورة واضحة وحادة وربما في شكل دعاية.

### مرحلة الاندماج أو التكامل : Stade intégré

وهي أرقى المراحل ولا يبلغها إلا عدد قليل من الكهول. إذ أنها تبقى على الخصائص المميزة للمرحلة السابقة ولكنها تتدعم وتنمو إلى مستوى أعلى، إضافة إلى تعقد التفكير. إن أحد العناصر الجوهرية في هذه المرحلة هو إثبات الهوية ودعمها.

نظرية دورة الحياة لـ Daniel Levinson ( 1978 ، 1980 ،

( 1981

يعيش الكهول فترات استقرار نسبي تتخللها فترات تحول أو فترات انتقالية ويكون هذا الكهل أثناء فترة الاستقرار بنى حياتية تشمل على شبكة من الأدوار والعلاقات ' واثناء الفترات الانتقالية يفحص الكهل هذه البنى الحياتية ليتخذ قرار في شأنها فإمّا ان يحتفظ بها او يُدخل عليها بعض التغيرات و قدم D. Levinson سلّمًا تصاعديا لفترات الاستقرار و فترات التحول لدى الكهل<sup>16</sup>.

---

<sup>16</sup> ( ورد هذا السلم في 430 p Le développement humain

الكهولة المتقدمة

-65- الانتقال الى الكهولة المتقدمة

-60- قمة عمر الكهل المتوسط

-55- تحوّل السنوات 50 الكهولة

المتوسطة

-50- دخول الكهولة المتوسطة

-45- تحوّل وسط العمر

-40- الاستقرار في سن الكهولة

-33- تحوّل سنوات 30 بداية سنّ

الكهولة

-28- دخول عالم الكهولة

-22- تحوّل بداية سن الكهولة

-17- طفولة ومراهقة

يرى صاب هذا النموذج للمراحل أن لكل فترة أنتقالية مضمونا

خاصا بها,

فالفترة الانتقالية الى مرحلة الكهولة الوسطى تتضمن ثلاثة

أعمال أو مهام جوهرية :

-اعادة تقييم فترة بداية الكهولة للتمييز بين الامور الهامة

والعناصر الثانوية.

- استدماج الثنائيات الكبرى : الشباب مقابل الشيخوخة' التهديم  
مقابل الابداع' الذكورونقيضه الأنثى' الارتباط وعكسه الانفصال  
يواجه الفرد في هذه الفترة- حسب Levinson - مسألة الشيخوخة  
و الموت'  
حضور الصفات الذكورية والصفات الانوثية في صلب  
الشخصية' الحاجة الى العناية بالآخر و بأن يعتني الآخر بنا و يكفلنا  
و أخيرا أن يكون تابعا و مستقلا في الآن ذاته.  
فبعد أن يطرق الكهل هذه الأسئلة و يختار نهجه يمكن له أن  
ينخرط في المرحلة الموالية ببناء بنية حياتية جديدة من شأنها أن  
تفيده في الفترة الموالية.

### III - النظريات النفسية الانسانية

#### نظرية القصدية : شارلوت بوهلر Charlotte Bühler

وضعت شارلوت بوهلر Charlotte Bühler نظرية للنموّ الانساني تقوم على مبدأ "القصدية" "l'intentionnalité" أو وجود "نية" هي أساس الطبيعة الانسانية.

تتجلى هذه القصدية عبر الاختيارات التي يعمد إليها الفرد طوال حياته وذلك لبلوغ أهداف قد لا تكون بالضرورة واعية. ولا يدرك الفرد - حسب بوهلر - طبيعة انتظاراته ودلالاتها الحقيقية إلا حين يصل إلى نهاية المطاف فيتسنى له التقييم وتقدير الحصيلة ويتبين مدى ما تحقق من هذه الأهداف التي كانت وراء اختياراته وقراراته.

واعتمادا على تحديد الأهداف ومتابعتها ضبطت بوهلر (

1968 ) 5 أطوار لدورة الحياة.

#### الطور الأوّل : من الميلاد إلى سن 15

يتميز هذا الطور بآعدام الأهداف الدقيقة، يعيش الطفل حاضره وليس له إلا فكرة عامّة وضبابية عن مستقبله.

#### الطور الثاني : ويوافق المرحلة العمرية ما بين 15 و 25 سنة

يدرك الفرد في هذا الطور حاجاته وقدراته واهتماماته، ويأخذ في تصوّر المشاريع الكبرى سواء ما تعلّق منها بالمهنة أو بالقرين وبدأ

في رسم الاتجاه الذي يريد إعطاءه لحياته والمعنى الذي يسنده إليها فيقوم ببعض المحاولات و يقيس المسافة بين أهدافه وإمكاناته.

**الطور الثالث :** ويمتد من 25 إلى 45 أو 50 سنة ويرى البعض

أنه طور الكهولة الحق وتتمام النضج ومن أكثر المراحل ثراء. يحدّد الفرد أثناءه أهدافه بوضوح ودقة ويصل إلى الاستقرار المهني والوجداني، وعادة ما تتخذ في بداية هذا الطور القرارات الهامة الخاصة بالحياة الزوجية أو توازنها.

**الطور الرابع :** ويقع ما بين 45 و 65 سنة، يعتبر هذا الطور

سن النضج والاكتمال يتولى الفرد خلاله تقييم مساره وضبط الحصيلة التي حققها أثناء حياته الماضية. فإذا كان هذا التقييم في بداية المرحلة أي ما بين 40 و 50 يمكن للشخص أن يعيد النظر في وضعه ويحدّد من جديد أهدافه وفق مكانته المهنية وقدراته الجسميّة والذهنيّة ووفق نوعيّة العلاقات التي نسجها وخاصة العلاقة الزوجية.

**الطور الخامس :** ويبدأ مع الشيخوخة في حدود 65 و 70 سنة

يتوقف عدد كبير من الأفراد عن مواصلة السعي إلى تحقيق الأهداف التي رسموها في الأطوار السابقة.

وبالمقابل يستغلّ جلهم ما بقي لهم من قوى وقدرات لتعاطي

أنشطة ترفيهية والقيام برحلات أو تمضية الوقت بأعمال لا تتطلب

جهدا كبيرا وتمكّنهم من الحياة أثناء السنين الأخيرة بشكل مريح  
وهادئ.

وفي هذا الطور يبحث الكهل عن المغزى الذي يراه لوجوده  
حتى يتسنى له تصوّره كلاً موحّداً.

وعادة ما يستعرض الانسان عدد الأحداث والوقائع التي مرّ بها  
فيشعر أنه حقق الأهداف التي حدّدها لنفسه ممّا يولّد لديه إحساساً  
بالرّضى، وقد يتولد عن فحص مدى منجزاته شعور بالفشل إذا تبيّن  
أن أهدافه لم تتحقّق.

## نظرية تحقيق الذات لكارل روجرس C. Rogers

يعتبر علم النفس الانساني المنهج الذي يقوم على القطع مع المقاربة السلوكية والمقاربة التحليلية النفسية لأنهما - في رأي النفسانيين الانسانيين - قاصران عن فهم ذات الانسان والإيفاء بمكوناتها وبوحدتها. يؤكد أصحاب النظرية الانسانية على إبراز ما في الكائن البشري من خصائص تميزه كالعقل والحرية والاستقلالية والإبداع، وهم يؤسسون العلاج النفسي على مبدأ الحرية وعلى مسلمة استقلال الحاضر خلافاً للتحليل النفسي الذي يرى الماضي محدداً أساسياً للحاضر، كما يقولون بوحدة الكائن الانساني، وهو كل فوق الأجزاء، وانطلاقاً من ذلك فإن كل مقارنة تجريبية أو مخبرية من شأنها أن تجزئ الشخصية و تكتفي بعنصر من عناصرها او ببعد من ابعادها .

ان تحقيق الذات مكون محوري للمقاربة النفسية الانسانية وهو يبدأ مع السنين الاولى من حياة الفرد ولكنه يتواصل طوال العمر ذلك أن البنى القاعدية تستمر في التشكل والتأسس الى سن الكهولة وهذا ما يبرز اعتمادنا عليها في علم نفس الكهل.

تقوم نظرية تحقيق الذات Actualisation de soi لروجرس على

مجموعة من المبادئ والمرتكزات منها :

### 1- النزعة الى تحقيق الذات :

توجد لدى الانسان نزعة الى تحقيق الذات أى التكفل بحياته و بالحفاظ عليها وتطويرها و اثرائها اذ له من الكفاءة ما يؤهله لحلّ

مشاكله و توجيه سلوكاته فاعذا كانت الانشطة التي يمارسها الفرد تنطلق من استعداداته و تستجيب لأهدافه فاعنها تولد الشعور بالرضى وتسهم في تقوية الذات أما اذا تعارضت الانشطة الممارسة مع تحقيق الذات فاعنها ستفضى الى الشعور بالإحباط ويتجلى ذلك بوضوح في نشاطات الكهل المهنية على سبيل المثال :

## 2- أهمية الخبرات الحاضرة في تكوين الشخصية وبلورة

ملاحمها وفي توجيه السلوك خلافا لنظرية التحليل النفسي التي تستند الى الماضى و خاصة الى مرحلة الطفولة لفهم الحاضر ويستخدم روجرس عبارة "هنا والآن" في مجال تنشيط المجموعات ومجال العلاج النفسي اذ يرى ان العوامل النفسية لا تدرك الا في حيز الحاضر وفي الوقت الراهن.

## 3 - الانسان كائن مفكر و مدرك

إنّ ما يميّز الانسان امتلاكه للعقل وقدرته على الادراك والتفكير، وهذه القدرة تنمو وتتطور بالمعارف والخبرات. فاذا أردنا فهم سلوكاته ومواقفه يتحتم فهم أفكاره ومدركاته والانطلاق من تقييمه لذاته ومن تقييمه لخبراته ولعالمه الشخصي وطريقة اشتغاله حتى لا نُسقط عليه أفكارنا ومواقفنا.

## 4- ابراز القوى الايجابية في الشخصية

تقول هذه النظرية بضرورة التأكيد على القوى الايجابية في الإنسان باعتبارها يسعى دائما إلى التحصيل والإنجاز وتحقيق استقلاليته ونسج علاقات تقبل وحب مع محيطه. أمّا علاقة المساعدة

التي يتولأها المعالج النفسي فينبغي أن تُمكن الفرد من إدراك هذه القوى وفهمها واستخدامها لبلوغ الأهداف الشخصية وتحقيق الذات عبر مختلف أساليب التعبير والإبداع.

## 5- الاتجاه نحو التطور إلى الأفضل

يشتمل الانسان على قوى ذاتية تدفعه نحو التطور بشكل إيجابي، فإذا وجد الظروف المناسبة أمكن له ممارسة التفكير والإبداع والعمل من أجل الآخرين وفي سبيل الانسانية عامة وبالتالي تجسيم المعنى أو الدلالة التي يوليها لوجوده، ذلك أن الإنسان لا تتوقف حياته على تلبية الحاجات الضرورية الأولية المرتبطة بالبقاء وحفظ النوع بل ترقى إلى تأكيد قيم الحرية والاستقلالية والاعتماد على النفس وحب الاطلاع وغيرها من القيم الفكرية والجمالية والانسانية.

يؤكد روجرس على الخبرة والمعرفة باعتبارهما محركا لنمو الشخصية وتطورها وكلما زودّ بهما تدعمت ثقته نفسه وتضاعفت قدرته على التمييز بين الأمور وأخذ القرار المناسب.

## 6- حاجة الفرد إلى تقدير الذات

أشار روجرس إلى أن للانسان حاجة أساسية إلى تقدير الذات، فهو ينتظر من الآخرين أن يقدموا نظرة إيجابية عن شخصه وعن أفعاله، وهذا التقدير من شأنه أن يساعده على بناء شخصيته وعلى الشعور بالتوافق بين الأنا والآخر. ولئن لوحظت هذه الحاجة في كل

الأعمار فإنها تتأكد في مرحلة الكهولة باعتبارها مرحلة تأكيد الذات وتبلور الشخصية.

قد يكون هذا التقدير مشروطا وقد يكون غير مشروط. فإذا كان التقدير الايجابي مشروطا كما هو الشأن في أغلب الأحيان أي يتوقف على مدى مطابقة سلوك لفرد وأحاسيسه وحتى أفكاره لما يراه الآخرون، فإنه قد ينزع إلى إخفاء مشاعره وأفكاره الحقيقية إذا كانت مغايرة لانتظارات الآخرين، ويتبع استراتيجية معينة للحصول على تقدير المحيط له. وتنجرّ عن ذلك هوة بين الذات الواقعية<sup>17</sup> كما شكلها الوسط الاجتماعي ووجهتها ضغوطه وبين الذات المثالية - كما يريدنا الانسان أن تكون.

أما إذا كان تقدير الآخرين الإيجابي للإنسان غير مشروط فسيمكّنه ذلك من تنمية انفعالاته وأحاسيسه وأفكاره والتعبير عنها تعبيرا أصيلا.

سيسهم هذا التقدير غير المشروط في تكوين شخصية متوازنة تتسم بالتوافق La congruence بين الذات الواقعية وبين المشاعر والسلوكيات والأفكار الأصلية مما يجعله يتوق نحو الذات المثالية باعتبارها مفتاح تحقيق الذات ( actualisation de soi ).

إذا أدرك الفرد أن تقييم الآخرين له إيجابي فإن ذلك سيدعم ثقته في نفسه ويؤكد خبراته ويثبت الصورة التي رسمها لنفسه، وهي

---

<sup>17</sup> ( تقع الذات الواقعية le Soi réel حسب روجرس بين الذات المثالية أي ما يتوق إليه الانسان وبين متطلبات المجتمع ومعاييرته التي تتجلى في أحكامه وتقييمه المشروط.

عوامل تشتغل مجتمعه للتأثير في تشكّل الشخصية واستمرار تطورها.

وإذا شعر الفرد بأن تقييم الآخرين له متقلب أو تغلب عليه السلبية - حتى وإن كان صحيحا ومبررا - فإنه سيقابله بالرفض والإنكار وسيستعمل مختلف الميكانزمات الدفاعية لردّه، لكن هذا الصراع بين الآخر والذات سيولد تذبذبا وانعدام التوافق وربما سوئرا ذلك - على المدى الطويل - في مفهوم الانسان لذاته وقد تشوه الصورة التي يحملها عن نفسه.

آخترنا في هذا الدرس كارل روجرس ممثلا لنظريات علم النفس الانساني بأعتبارها تعرف بمكونات الشخصية وأسسها وتطبق على شخصية الكهل كما تبرز تطورها عبر مختلف أبعادها دون تحديد للمراحل أو الأطور كما هو الشأن في نظريات أخرى. وهي نظرية متفائلة تجعل الإنسان سيّد مصيره يختار بنفسه مساره وفق خبراته ومعارفه، يقيم مكتسباته باستمرار، ويؤصف بالمرونة الضرورية التي تساعد على تعديل سلوكه ومواقفه وربط علاقات إيجابية مع محيطه.

أما أساس هذه النظرية فهو تحقيق الذات بإخراج ما فيها من طاقة كامنة من حيز القوة إلى حيز الفعل، وعلى مساعدة الفرد على التقريب بين الذات الواقعية والذات المثالية وأن يصل إلى مستوى

التوافق بين قيمه الذاتيّة ومشاعره الحقيقيّة وأفكاره وبين سلوكاته وتصرفاته الظاهرة حتى لا يضطر إلى حمل الأقنعة والتزييف إرضاء للآخر وخضوعاً للمعايير الخارجيّة.

### المقاربة النفسيّة الاجتماعيّة للكهولة.

عندما ينتقل الانسان من المراهقة إلى بداية الكهولة يُنتظر منه أن يؤديّ جملة من الأدوار التي يحددها المجتمع وثقافته في مرحلة تاريخيّة معيّنة. وعادة ما ترتبط هذه الأدوار بعمر محدّد في حياة الفرد إذا لكل دور ميقات تحدده "الساعة" أو "الروزنامة" الاجتماعيّة حتى وإن تغيّر الميقات بتأثير الظروف الماديّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة مثال سن الزواج الذي ارتفع معدّله في السنين الأخيرة (32 سنة للرجل و 26 سنة للمرأة في تونس سنة 1997).

ونظراً إلى أنّ الكهولة تمتد على فترات متلاحقة ذات خصائص متباينة وذات مدد مختلفة ينتظر أن تتطور هذه الأدوار فتأخذ أشكالاً عدّة.

تمثل الأدوار مكوناً أساسياً من مكونات هويّة الفرد لذلك سينعكس تطوّرها على تطوّر الهويّة ذاتها ويشمل الشخصية بأكملها بحيث تبلغ مستوى عالٍ من النضج والاندماج.

يؤديّ الفرد إذن خلال مرحلة الكهولة عدّة أدوار تتكامل حيناً وتتعارض حيناً آخر، يمكن جمع هذه الأدوار في أصناف : الأدوار الجنسيّة الأدوار العائليّة والأدوار المهنيّة.

تتنزّل هذه الأدوار فيما يسمّى بدورة الحياة العائليّة.

يبدو أن أفلين دوفال Evelyn Duvall (1957 - 1977) هي أول من بيّن أن للعائلة دورة تمثّل أكثر من مجموع دورات أو حلقات الحياة للأفراد الذين يكوّنونها ومن خصائص التركيبة العائليّة أن تعرف عادة تغييراً سواء بالزيادة أو النقصان للأعضاء الذين تتكوّن منهم وهذا ما يضيف على الأدوار تغييراً وتكيّفاً.

### مراحل دورة الحياة العائليّة حسب Duvall

I - الزوجان بدون أطفال تدوم هذه المرحلة عادة سنتين

II - أب وأم لأول مرّة تبدأ هذه المرحلة بميلاد الطفل

الأول وتنتهي عندما يبلغ هذا الطفل

30 شهراً.

III - الأبناء في سن عمر الطفل الأول ما بين 30 شهراً

ما قبل المدرسة و 6 سنوات.

IV - الأبناء في سن المدرسة سن الطفل الأكبر ما بين 6 و

12 سنة.

V - المراهق الطفل الأول ما بين 13 و 18 أو 20 سنة.

VI - الطفل يغادر البيت تبدأ المرحلة مع مغادرة أو ابتعاد

الطفل الأول عن البيت وتنتهي بمغادرة

آخر الأطفال

VII - مرحلة ابتعاد آخر الأطفال فترة ما بعد الأبوة، تبدأ مع

ابتعاد  
آخر الأطفال وتنتهي  
ببداية التقاعد.

VIII - شيخوخة الأسرة حسب نظرية Duvall تبدأ هذه

المرحلة مع  
التقاعد وتنتهي بموت  
الزوجين وهي تمتد  
عادة ما بين  
10 و 15 سنة.

تتغير الأدوار بتغير وضعيّة الأسرة وتركيبتها وبما تعيشه من  
أحداث كميلاد الأبناء، أو ابتعاد أحدهم أو فقدان أحد الأعضاء، ... أو  
الزّواج ثانية ...

يرتكز تقسيم E. Duvall على مبدئين اثنين وهما :

(1) نوعيّة العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة وما تفرزها من  
منازل ووضعيّات، فالزوج لا يُصبح أباً إلا بميلاد طفل، والزوجة لا  
تصبح أمّاً إلا بميلاد ابن أو بنت، وهكذا دواليك،

(2) طبيعة الأدوار التي يؤدّيها الكبار نتيجة العلاقة المذكورة  
وهي أدوار تحدّد المنازل أو المكانات الجديدة لمختلف الأعضاء  
الذين يكونون الأسرة، فتطبع حياتهم النفسيّة تعدّد خصائصهم.

والسؤال المحوري في هذا الإطار كيف يتفاعل الكهل مع كل  
مرحلة ؟ ينبثق عنه سؤال فرعي حول درجة رضا الكهل عن نفسه  
وعن دوره في الحياة الأسريّة ؟

يبدو أن الدّراسات التي أجريت حول درجة رضا الكهول عن حياتهم الأسريّة تبلغ أعلى مستوياتها في السنتين الأوليين ثم تنخفض شيئاً فشيئاً إلى أن تصل أدنى مستوياتها عندما يبلغ الأطفال نهاية المراهقة أو يغادرون منزل الآباء.

قد يستغرب القارئ من هذه النتائج التي تبدو غير مطابقة للرأي السائد والحس الجماعي، إلا أنّ أصحاب الدّراسات المذكورة يؤوّلون المعطيات المستخلصة بظهور أدوار جديدة وتعهدها وما تثيره من مشاكل وصراعات وربما متطلبات حادّة تتضاعف بارتفاع سن الأبناء.

قام هوفمان ومانيس Hoffman et Maris (1978) بدراسة 2000 شخصاً من مختلف الأصناف وقد أخذوا بعين الاعتبار سن أصغر الأطفال وسنّ أكبرهم. وكانت النتيجة الأولى والمحيّرة للدّراسة هي أنّ درجة الرضى عن الحياة الزوجيّة أضعف ما تكون عندما ينتقل الأبناء من الطفولة إلى المراهقة، وأن أدوار الوالدين تكون أيسر لما يكون الأطفال في نفس المرحلة من النمو.

ويبدو من الدّراسة أيضاً أنّ درجة الرضى تكون مرتفعة إذا كان الأطفال في سنّ ما قبل المدرسة أو إذا دخل جميعهم "المدرسة الابتدائيّة". أمّا إذا كانت أعمارهم متباينة وفوارق السن بينهم كبيرة فإنّ درجة الرضى تصبح ضعيفة لأنّ ذلك يتطلّب من الوالدين إعادة الأدوار التي قاموا بها مع الطفل الأوّل إضافة إلى تحمّل الأدوار

العادية التي تحتمها أعمار الأطفال الآخرين وخاصة المراهقين منهم.

فأزمة المراهقة - وهي أزمة الهوية عند أريكسون تنعكس على الأسرة بأكملها وقد تولد صراعا بن أعضائها لاختلاف الرؤى والمواقف وتقدير الأمور وحتى القرارات الهامة المتعلقة بمستقبل المراهق الدراسي والمهني وحياته العاطفية.

لاحظ هوفمان ومانيس من جهة أخرى أن 80 % من الكهول المستجوبين صرّحوا بأن حياتهم تغيرت نحو الإيجاب بميلاد أول طفل وهذا ما قرّب بين الأزواج وجعل مهمة تربية الوليد مصدر بهجة وتوازن أسري. فعادة ما يصحب الإنجاب شعورٌ بإنجاز الذات، وبلوغ النضج وبأنّ لكلا الزوجين مهمة وضرورة حياته وأنه مفيد للآخر<sup>18</sup>.

إنّ فترة تربية الأبناء ورعايتهم فترة محقزة ومثيرة ولكنها لا تخلو من صعوبات ومعاناة خاصة إذا عاش خلالها الولياء صراع الأدوار ومرّوا بصعوبات مادية ومالية وكانت مقتضيات الزمن محدّدا لمشروعاتهم واستراتيجياتهم، وكثيرا ما تكون هذه العوامل متجمعة مصدر قلق وتوتر نفسي وربما أعدام التوازن.

وكثيرا ما تصادف هذه المرحلة متطلبات أخرى في المجال المهني كالبحث عن الإثبات أو "الترسيم" أو الارتقاء في المسار المهني أو تغيير نوعية العمل عن طريق الرّسكلة والتكوين

---

<sup>18</sup> (141) op. cit p Le développement humain

المستمر، أو المرور بصعوبات كبيرة في الحياة المهنيّة كالطرد والبطالة والفشل في تطوير مشروع شخصي إلخ ... كل هذه الأحداث المتوقعة وغير المتوقعة في مرحلة الكهولة من شأنها أن تؤثر في أداء الأدوار الأسريّة.

ولئن بدت أسباب الوقائع المذكورة اجتماعيّة واقتصاديّة أو ماديّة فإنّ انعكاساتها النفسيّة غير خفيّة وقد تأخذ أشكالاً عدّة من التوتر البسيط إلى القلق إلى الأمراض النفسيّة.

### الجوانب الوجدانيّة والاجتماعيّة للكهل

عندما نروم دراسة الجوانب الوجدانيّة والاجتماعيّة للكهل تتبادر إلى ذهننا مجموعة من الأسئلة الإشكاليّة تتعلّق بمدى ثبات شخصيّة الكهل مقارنة بالطفولة والمراهقة، وهل توجد في الشخصيّة سمات قارّة وأخرى متحوّلة؟.

ان الكهول أصناف، منهم من تتحدّد شخصيّته بصورة نهائيّة فيتصلّب ويتحجّر ويشتغل وفق آليات واحدة فتأتي ردود فعله منمّطة

ومتكررة يسهل التنبؤ بها، ومنهم من يعرف التغيير فنتفاعل شخصيته مع الأحداث المعيشة ومع الخبرات المتلاحقة لتكوّن شخصا متطورا ومتفححا يعيش كل مرحلة من مراحل حياته وفق مقتضياتها وبصورة إيجابية.

يبرز من الأدبيات المنشورة في المجال صنفان من النظريات : صنف يقول بثبات أبعاد الشخصية أو على الأقل بثبات بعض الكهول وتغير البعض الآخر، وصنف يؤكد نموّ شخصيّة الكهل سواء وفق مراحل وأزمات أو حسب أطوار معيّنة ودورة الحياة العادية صنف يربط النموّ بالانسان ككلّ أو بمشروعه في الحياة وأهدافه وما ينتظره منه المجتمع من أدوار.

### I - نظريات ثبات الشخصية

تبدو مسألة التغيير والثبات أو التواصل والانقطاع مسألة هامة ومحورية في الدراسات التي أهتمت بالكهول وخاصة في إطار علم نفس النموّ مدى الحياة.

سعى Costa و Mc Crae إلى وضع تصوّر للشخصية يقوم على مفهوم السمات les traits وهو مفهوم يعبر عن الاستعدادات القارة للشخص والملاحم المميزة له :

"تمثل السمات أساليب عامة تتصل بالانفعالات والتفاعلات مع الآخرين، بالتجارب والمواقف والدافعيات"

توجد عدّة واصفات للشخصيّة للدّلالة على سماتها، فنقول هذا شخص ذكيّ، فطن، وهذا أقلّ ذكاء، متوازن وغير متوازن، سويّ المزاج، قلق ومضطرب، كسول أو مجتهد، صاحب ضمير ...  
بالاستناد إلى البحوث السابقة طورّ Costa و Mc Crae نموذجا للشخصيّة ذا 5 عوامل يسمّى كذلك " الخمسة القوية" وهذه العوامل هي :

- العُصابيّة أو الاضطراب الانفعالي : Le Névrotisme

- الانبساط أو التفتّح على الآخر : L'Extraversion

- الانفتاح على التجربة : L'Ouverture à l'expérience

- القبول أو حسن المعاشرة : L'Agrément de contact

- أن يكون واعيا ومسؤولا : Le Fait d'être Conscientieux

يتكوّن كلّ مجال أو كل عامل من العوامل الخمسة من عدد من الوجوه أو المظاهر التي يتجلّى فيها، نذكر منها :

**العُصابيّة ( N )** : وتتمظهر في القلق والاهتمام المفرط بما سيجري، الرّفص، الانهيار، الوعي بالذات، الاندفاعيّة، الهشاشة أو قابليّة التأثر.

**الانبساط والتفتّح على الآخر ( E )** : طباع حارّ، النزعة إلى الاجتماع، "الرّغبة في أن يكون الناس من حولي"، النشاط، البحث عن الأحاسيس الجياشة، انفعالات إيجابيّة،

**الانفتاح على التجربة ( 0 )** : الخيال، الجماليّة، المشاعر، الأفعال، الأفكار، القيم "أظنّ أن القوانين والسياسات الاجتماعيّة ينبغي أن تتغيّر لتعكس تغيّر العالم".

- القبول وحسن المعاشرة ( A ) : الثقة، التعامل دون أقنعة،  
"أرفض أن يعتبرني الناس شخصا منافقا"، إيثار الآخرين، احترام  
الطلبات والأوامر، التواضع، ذو قلب طيب،
- الوعي و الضمير ( C ) : كفاءة، الشعور بالواجب، النظام،  
الرغبة في الإنجاز "لي مجموعة من الأهداف الدقيقة وأحاول أن أحققها  
بشكل منظم" الانضباط الذاتي، التفكير.

من النتائج التي توصل إليها الباحثان لما قارنا الكهول بطلبة  
الجامعة في مجالات العُصائبة والانبساط أو التعبير الانفعالي، والانفتاح  
على الآخر أن الأولين عندما يغادرون الجامعة يصبحون عادة أكثر  
توازنا وأكثر هدوءا ولكن أضعف حبا للاطلاع أي أن المقارنة بين  
مجموعتين من أعمار مختلفة تدل على اختلاف السمات والخصائص.

وفي دراسة أخرى أجريت على أشخاص تتراوح أعمارهم بين 29  
إلى 93 سنة تبين لهما أن الكهول بقدر ارتفاعهم في السن بقدر ما  
يعتبرون أقل اندفاعية وأقل بحثا عن الأحاسيس القوية وأقل تفتحا على  
التخيّل والمشاعر والأنشطة ...

ومن جهة أخرى كلما ارتفع سنهم كانوا أكثر تلقائية في تعاملهم مع  
الآخرين وأكثر تواضعا.

لكنّ الدّراسات الطويلة - وهي الأنسب لدراسة مدى تطوّر  
الشخصية أو ثباتها حسب ارتفاع السن - تشير إلى أنه لا توجد تغييرات  
هامّة لتصبح ذات دلالة إحصائية.

فإذا أعتبرت الميادين التالية أي العصابية، الاهتمام بالآخر، والانفتاح على التجربة بصورة منفردة فإنه لا فروق تلاحظ في المجال الأول، وبالنسبة للمجال الثاني فإنّ النتائج الخاصّة بالنشاط تنقص لدى الرّجال والنساء.

أما فيما يتعلّق بالمجال الثالث أي الإنفتاح على التجربة فإنّ النقاط الحاصلة حول المشاعر والأفكار تنقص بينما ترتفع النتائج الخاصّة بالتخيّل لدى النساء وتنخفض النتائج المتعلّقة بالأفكار لدى الرّجال.

ومن أهمّ الخلاصات التي توصل إليها الباحثان بعد إجراء عدّة اختبارات إحصائية أن ثبات الشخصية بعد تقييم قائم على معامل الارتباط مرتفع خلال فترات طويلة نسبيا تصل إلى ثلاثين سنة وقد أكّدت هذه الخلاصة دراسات طويلة عديدة قام بها باحثون آخرون.

وفي إحدى الدّراسات الكثيرة التي أنجزها Costa و Mc Crac طلب هذان الباحثان من المفحوصين هل يعتقدون أنهم تغيّروا خلال السنوات الست الأخيرة؟ ويمكن لهؤلاء المستجوبين أن يقدّروا انطباعيا هل أنّ شخصيتهم تغيّرت كثيرا أو قليلا أو لم تتغيّر تماما!.

14 % فقط من الأفراد موضوع البحث ذكروا أنهم تغيّروا بصفة ملحوظة، ولكن لماّ طبق على أجوبتهم في المجالات الخمسة المذكورة اختبار الثبات اتضح أن معامل الثبات لنتائجهم لا يختلف عن نتائج من ذكروا أنهم لم يتغيّروا أو تغيّروا قليلا.

أما عن عاملي حسن القبول والضمير الذين أضيفا إلى النموذج الثلاثي في صيغته الأولى يقول عنهما المؤلفان : "يُسم الأشخاص ذوو المعاشرة الحسنة بالحرارة والعطاء والودّ، كما يتصف أصحاب الضمير

بالنجاحة والكفاءة والعمل المضني، فحسن القبول والتواصل الذي يؤسس العلاقات الايجابية ما بين الأشخاص والضمير الذي يفرز الإنجازات والأداء الرفيع من شأنهما أن يوقرا نوعيّة حياة أفضل ودرجة رضى عن النفس مرتفعة.

وهذا ما قد يكون ذهب إليه فرويد عندما دعا إلى الحب والعمل كسبيل للصحة النفسيّة والسعادة<sup>19</sup>.

<sup>20</sup>تختلف نظريات الشخصية في تصوّر التغيّر وتقديره، فمنها ما تعتبر التغيّر بطيئاً ومتدرّجاً يكاد لا يلحظ، ومنها ما تراه واضحا ويتمّ عبر مراحل أو فترات.

يمثل George Vaillant (1977) أحد المدافعين عن الرأى الأوّل، إذ يقول بأنّ للكهل حاجات ينبغي تلبيتها وإزمات يومية عليه حلّها وتجاوزها، وهو يتفق في ذلك مع فرويد وأريكسون.

يستخدم الفرد للاستجابة لحاجاته وحلّ صراعاته آليات تكيف الأنا وتسمّى عادة آليات الدّفاع. هذه الآليات هي عبارة عن أدوات وأساليب لا شعوريّة تحميّنا من النزعات والأحاسيس غير المقبولة. والسؤال كيف تشتغل هذه الآليات الدّفاعيّة عند الكهل؟.

ميّز Vaillant بين الآليات الدّفاعيّة حسب درجة دلالتها عن النموّ، وجمعها في 3 أصناف متراتبّة :

- آليات غر ناضجة وهي تتمثل في إسقاط المشاعر والأفكار

على الآخر

---

<sup>19</sup> ذكره Vandenplas - Holper ص 150.

- آليات عُصابيَّة ( mécnismes névrotiques ) وهي قمع المشاعر  
والأفكار الذاتيّة،

- آليات ناضجة وتتمثل في الاتجاه نحو الآخر، واستباق الأمور  
والأحداث والدّعابة أو الأريحيّة.

لاحظ Vaillant هذه الأصنف لدى مجموعة من الرّجال شاركوا  
في دراسة طوليّة بجامعة هرفارد، فحصوا مرّة أولى لماكانوا  
بالمعهد ثمّ فحوا ثانية لما بلغوا الأربعين أو الخمسين من العمر.  
وبيّن نفس لدارس التطوّر لتدريجي لآليات الدّفاع من الشكل  
غير الناضج إلى الشكل غير الناضج إلى الشكل الناضج.

تبين Vaillant أن 15 % من آليات الدّفاع لدى الأفراد أثناء  
دراستهم الثانويّة كانت من الصنف الناضج وارتفعت هذه النسبة إلى  
35 % لم بلغ المفحوصون نهاية الأربعين.

ومن النتائج الهامّة الأخرى الملاحظة أن الكهول الذين نجحوا  
في حياتهم (زواج مستمر، نجاح مهني، صحّة جيّدة ... ) بلغوا  
مستوى أعلى من النضج في لآليات الدّفاعيّة، أمّا الأفراد الكهول  
الذين عرفوا صعوبات في حياتهم الزوّجيّة و المهنيّة والصحيّة بقوا  
في وضع الآليات غير الناضجة. فنوعيّة الأحداث التي يعيشها الفرد  
تؤنّدر في طبيعة الآليات الدّفاعيّة التي يستخدمها.

## Bibliographie

- Bee Helen L, Mitchell Sandra K, Le développement Humain. Québec,éd du Renouveau Péd. inc. 1986.
- Bideaud Jacqueline et autres, l'homme en développement, PUF, 1993
- Boutinet Jean-Pierre, L'immaturation de la vie adulte . Paris, PUF, le sociologue, 1998
- Boutinet Jean-Pierre, Psychologie de la vie adulte, Paris, PUF, que sais- je? 1995
- CLAPIER-VALLADONsimone, Les théories de la personnalité, Paris, PUF,que sais-je?1986 (éd. 1996)
- Giordan,Apprendre!,Belin,1998
- GODEFROID Jo ,Les fondements de la psychologie, Ed .Etudes vivantes,Laval, Québec, 1993
- Huteau Michel et Lautrey Jacques, les tests d'intelligence, Paris,
- LABELLE Jean Marie, Lareciprocité éducative, Paris, PUF, Pédagogie d'aujourd'hui,1996
- Knowles M; L'apprenant adulte, Paris, Les éd. d'organisation, trad. 1990
- Limonges Jacques, Hébert Raymond P ; Développement en tête une introduction au courant cognitif-développemental en psychologie québec, univ . de Sherbroke, éd CRP ;1988
- Lapassade G; L'entrée dans la vie, essai sur L'inachèvement humain, Paris, Ed. Minuit, 1963

-Scchell Robert E, Hall Elizabeth, Psychologie génétique. le développement humain Montréal, Ed.du Renouveau Péd; 1980

- Vandenplas- Holper Cistiane, Le développement psychologique à l'âge adulte et pendant la vieillesse, Paris, PUF, Péd. d'aujourd'hui, 1998.

- القذافي رمضان محمد، الشخصية. نظريّاتها، آختباراتها وأساليب قياسها،

منشورات الجامعة المفتوحة،بنغازي، 1993.